

## استهداف السفارة الأمريكية في بغداد.. هل يدخل العراق الحرب رسميًا؟



في مؤشر بالغ الدلالة على اتساع رقعة الاشتباك الإقليمي، جاء استهداف السفارة الأمريكية في بغداد فجر الثلاثاء 17 مارس/آذار ليكرّس مسار التصعيد المتدرج في الحرب الأمريكية الإسرائيلية ضد إيران، ويكشف أن المواجهة بدأت تتجاوز أطرافها المباشرين نحو ساحات أكثر اشتعًا وحساسية.

وبحسب مصادر أمنية عراقية، فإن الهجوم نُفذ بصواريخ وعدد لا يقل عن خمس طائرات مسيّرة انطلقت من محيط العاصمة، في ما وُصف بأنه أعنف استهداف تتعرض له السفارة الأمريكية منذ اندلاع الحرب، كما أفادت "رويترز"، نقلًا عن شاهد عيان، بأن ثلاث طائرات مسيّرة على الأقل اتجهت نحو السفارة، حيث تمكنت الدفاعات الجوية من إسقاط اثنتين، بينما سقطت الثالثة داخل المجمع، مخلفة مشاهد واضحة للنيران والدخان المتصاعد.

لم يأت هذا الهجوم بمعزل عن السياق العام، بل ضمن موجة أوسع استهدفت المنطقة الخضراء ومرافق حساسة داخل المجمع الحكومي والدبلوماسي، بما في ذلك فندق الرشيد الذي يحتضن بعثة الاتحاد الأوروبي وعددًا من السفارات الأوروبية.

استهداف السفارة الأمريكية، بما تمثله من رمزية سيادية وسياسية، لا يمكن قراءته بوصفه حادثًا آمنًا منفصلًا، بل باعتباره رسالة مباشرة بأن الحرب دخلت طورًا جديدًا، تتراجع فيه الضوابط التقليدية لصالح منطق التوسع والضغط المتبادل، الأمر الذي يفتح الباب أمام احتمالات أكثر جدية لانفجار إقليمي واسع النطاق.

تعرضت السفارة الأمريكية في بغداد لهجوم ليلي مكثف بالصواريخ والمسيرات، حيث اعترضت الدفاعات الأمريكية معظم الهجمات، فيما أصابت مسيّرة واحدة المجمع وتسببت بحرائق وأضرار.

[pic.twitter.com/N299qkoigh](https://pic.twitter.com/N299qkoigh)

## ليست مجرد رسالة رمزية

منذ اندلاع الحرب في أواخر فبراير/شباط الماضي، اتسمت العمليات التي نفذتها الفصائل الموالية لإيران داخل العراق بطابع رمزي واضح، إذ انصبت في معظمها على التحرش بالأهداف الأمريكية في المحافظات العراقية، في إطار رسائل إنذار وتحذير أكثر من كونها عمليات تستهدف إيقاع خسائر مباشرة ومؤثرة.

غير أن الهجوم على السفارة الأمريكية هذه المرة تجاوز حدوده الرمزية المعتادة، بعدما استهدف عنوان السيادة الأمريكية الأبرز داخل العراق، وأفضى إلى خسائر فعلية تجلت في اندلاع حرائق بمحيط السفارة، في ما وصفته وكالات إعلامية بأنه أعنف هجوم من نوعه منذ بداية الحرب.

ولعل الرسالة الأبرز التي تحملها هذه العملية تتمثل في أن المنشآت الأمريكية المحصنة، بما في ذلك المقرات السياسية وعلى رأسها السفارة، لم تعد بمنأى عن الاختراق أو التهديد، وأن المصالح الأمريكية داخل العراق باتت جميعها في مرمى الاستهداف، بما يعكس انتقال المواجهة من مستوى الضغط الرمزي إلى مرحلة أكثر جرأة وخطورة في قواعد الاشتباك.

بهذه العملية، ينتقل العراق من موقع الساحة الخلفية للحرب، بوصفه إحدى جبهات الإسناد لطهران، إلى موقع الطرف المنخرط مباشرة في المواجهة، بعدما أصبح جزءًا من ساحة القتال الأمامية، فاستهداف السفارة الأمريكية في بغداد، إلى جانب استهداف الفندق الذي يقيم فيه دبلوماسيون أوروبيون، يعني أن العراق دخل المعركة بصورة واضحة ومعلنة، ولم يعد مجرد فضاء داعم أو مسرحًا ثانويًا لتبادل الرسائل.

ويبدو أن الفصائل الموالية لإيران في العراق اعتمدت سياسة تصعيد تدريجي ومدروس في انخراطها في الحرب؛ إذ بدأت باستهداف مواقع عسكرية في إطار السعي إلى إنهاء القدرات الأمريكية داخل العراق واستنزافها، قبل أن ترفع سقف الاشتباك إلى مستواه الأعلى عبر استهداف مقر السفارة الأمريكية نفسه، بما يحمله ذلك من دلالات سياسية وأمنية بالغة الحساسية.

وفي السياق ذاته، يمكن النظر إلى الانخراط العراقي المباشر في الحرب بوصفه ردًا على اغتيال المتحدث العسكري باسم "كتائب حزب الله" العراقية، المعروف بـ"أبو علي العسكري"، ويكتسب هذا الرد طابعًا انتقاميًا واضحًا، ويبعث برسالة مباشرة مفادها أن أي استهداف أمريكي أو إسرائيلي للفصائل داخل العراق سيقابله رفع كلفة الوجود الأمريكي، ليس فقط في القواعد والمواقع العسكرية، بل في بغداد نفسها، وفي قلب الحضور الدبلوماسي الأمريكي.

## توسيع دائرة الصراع

إن انخراط العراق بهذا الشكل في الحرب يعكس رسالة إيرانية مباشرة إلى الولايات المتحدة مفادها أن المواجهة لن تبقى محصورة في حدود أطرافها المباشرين، بل ستتجاوزهم إلى ساحات إقليمية متعددة، بما يؤكد امتلاك طهران عمقًا هجوميًا واضحًا عبر شبكاتها الحليفة المنتشرة في المنطقة، والقادرة على التحرك أو التوظيف كلما اقتضت ضرورات المعركة ذلك.

فالبداية جاءت مع انخراط حزب الله بصورة مباشرة، وها هي الجبهة العراقية تتجاوز بدورها حدود رسائل الإنذار والتحذير لتتحول إلى ساحة مؤثرة في مسار المواجهة، مع بقاء ورقة الحوثيين حاضرة في الحسابات الإيرانية تحسبًا لأي تطورات خلال الأيام المقبلة، خصوصًا ما يتعلق بمضيق هرمز وباب المنذب وما يمثله هذان الممران من ثقل استراتيجي بالغ الحساسية.

والرسالة التي تسعى إيران إلى تكريسها اليوم هي أنها، حتى تحت وطأة الضغط المباشر داخل أراضيها، لا تزال تمتلك أدرعًا إقليمية قادرة على التحرك وتحقيق أهدافها من خارج الحدود، فيما يرى مراقبون أن هذه المسألة تكتسب أهمية خاصة على المستوى الاستراتيجي، لأن الحروب غير المتكافئة من حيث ميزان القوة والعتاد لا تحسم فقط بعدد الأهداف التي تُقصف داخل إيران، بل أيضًا بقدرة طهران

وحلفائها على توزيع كلفة المواجهة على السفارات والقواعد والممرات الحيوية للطاقة في الإقليم.

فشل استراتيجية الردع الأمريكي

يكشف استهداف السفارة الأمريكية في بغداد، بعد الهجمات التي طالت القواعد العسكرية الأمريكية، عن اهتزاز واضح في فعالية استراتيجية الردع التي اعتمدها واشنطن داخل العراق، بل ويوحى بأن هذه الاستراتيجية لم تعد كافية لضمان حماية الأمريكيين أنفسهم من نيران القوى المرتبطة بإيران، وهي رسالة شديدة القسوة في ميزان المفاهيم العسكرية.

ورغم محدودية الخسائر المباشرة على المستويين البشري والعسكري، فإن الدلالة السياسية والرمزية لهذه الهجمات تتجاوز كثيرًا نتائجها الميدانية، لأنها تضع أمريكا أمام مشهد بالغ الإحراج، قوة عظمى عاجزة عن حماية أكثر منشآتها تحصيلًا، وأكثر رموزها السيادية حضورًا داخل العراق.

ومنذ دخولها العراق قبل أكثر من عشرين عامًا، بنت واشنطن جزءًا مهمًا من حضورها على فرضية الردع ومنع الخصوم من الاقتراب من مصالحها الحيوية، غير أن هذا الافتراض يبدو اليوم أكثر هشاشة من أي وقت مضى، بما قد يفرض مراجعات عميقة على مستوى مستقبل الانتشار الأمريكي وتموضعه داخل الساحة العراقية.

أمريكا بين خيارين

اللافت في هذا التطور أنه يجعل من الوجود الأمريكي في العراق عبئًا سياسيًا وأمنيًا متصاعدًا، لا ظرفًا مؤقتًا يمكن احتواؤه بسهولة، فالمشهد لم يعد يقتصر على مجرد إزعاج محدود أو رسائل تحرش رمزية، بل بات يلامس جوهر التواجد الأمريكي نفسه ويهدد استمراره بصورة مباشرة، وإذا استمر هذا التصعيد، سواء لفترة قصيرة أو ممتدة، فإنه سيدفع الولايات المتحدة، على الأرجح، إلى مواجهة خيارين أحلاهما مر.

الخيار الأول يتمثل في المضي نحو تصعيد أوسع ضد الفصائل الموالية لإيران، وهو مسار ستكون له تداعيات ثقيلة على مجمل المشهد العراقي، كما سيضع الحكومة العراقية في موقف بالغ الحرج داخليًا وخارجيًا، بما قد ينعكس سلبيًا على أمن الأمريكيين داخل العراق وعلى مصالح واشنطن في المنطقة بأسرها.

أما الخيار الثاني، فيكمن في اتجاه أمريكا إلى تقليص وجودها داخل العراق، ولو بصورة مرحلية، ريثما تتضح مآلات المواجهة مع إيران، أو في إعادة تموضع قواتها في مناطق أبعد نسبيًا عن نطاق استهداف الفصائل الموالية لطهران.

غير أن هذا السيناريو، على ما قد يوفره من تقليل للمخاطر المباشرة، يحمل في طياته دلالة سياسية ثقيلة، إذ يمكن قراءته بوصفه تراجعًا أمريكيًا واضحًا، ونجاحًا إيرانيًا في فرض أجندتها ورفع كلفة الحضور الأمريكي إلى مستوى يصعب احتماله.

بهذا التصعيد، تدخل الحرب الأمريكية ضد إيران مرحلة بالغة الحساسية، بعدما تجاوزت إطارها التقليدي الضيق لتتحول تدريجيًا إلى حرب استنزاف مباشرة ومتعددة الساحات، ومع اتساع رقعة الاشتباك ودخول جبهات جديدة على خط المواجهة، تتصاعد المخاوف من انزلاق المنطقة أكثر فأكثر نحو حرب إقليمية مفتوحة، تبدو مآلاتها شديدة التعقيد وصعبة التقدير.